

# الجهاد الوطني في مراکش

للأستاذ عبد الكريم غلاب

في جمع ضم نخبة ممتازة من أصحاب الدولة والمالي من مصريين وشرقيين وعرب تحدثت متحدث عن مراکش وما تلاقيه في سبيل الحصول على استقلالها ، فرد عليه أحد أصحاب المالي قائلا : إننا لا نسمع إلا قليلا عن الحركة الوطنية في مراکش ، ولذلك لا نستطيع أن نقوم نحوها بشئ جدى . ذلك حديث صاحب المالي واست أدري أنكر عليه حديثه أم أسرد عليه بعض الحقائق التي تبرهن له على أن مراکش جاهدت في سبيل استقلالها جهاد السميت ، وضحت في سبيل قوميتها تضحية لا أحسب أن أمة شرقية ضحت أكبر منها .

والحقيقة أن مراکش وقعت تحت الحماية الفرنسية ، ويمكن أن أقول « الحماية الفرنسية » ليدرك إخواننا العرب في الشرق ما تعانيه هذه الأمة من بطش وجور واضطهاد ، وليدركوا أيضا - إن كانوا قد سموا أو رأوا ما وقع في سوريا ولبنان طول ربع قرن - ما يتجرعه الراكشيون في سبيل كيانهم الوطني ؛ مع ما يوجد هناك من فارق جوهرى بين الحالة في الشرق والحالة في مراكش . وهذا الفارق هو أن مراكش وقعت في الركن الغربى لشمال أفريقيا ، وبذلك أصبح في إمكان الفرنسيين أن يفتلوا الأبواب في وجهها ، ويكتموا أنفاسها حتى لا يسمع صوتها أحد في الشرق أو الغرب . وقد تم لها ذلك . فإني تتحرك البلاد حتى تغفل جميع الحدود ، وتمنع إدارة البرق من أن ترسل أى رسالة إلى الخارج وبذلك يتم للفرنسيين أن ينفردوا بمراكش فيقتضوا على حركتها بالحديد والنار - ويخمدوا أنفاسها إلى حين ، وبذلك لا يدري أحد ماذا جرى في مراكش .

أست ترى معنى أن صاحب المالي مذبور في قوله إن حركة مراكش لا يسمع لها صوت ؟ وسنحاول في هذا الحديث أن نلخص جهاد الراكشين في سبيل استقلالهم وحررتهم - يبدأ تلرخ الجهاد الوطنى منذ فكر الأجانب في احتلال

مراكش ، وقد فطن لذلك الراكشيون فكانت ثورة المولى عبد الحفيظ وتوليته العرش سنة ١٩٠٧ قائمين على أساس إبعاد خطر الأجانب عن البلاد والقيام بالإصلاحات الداخلية التي يتطلبها المهدي الجديد كما ورد في الوثيقة التي يوبع على أساسها . وقد قام الراكشيون في ذلك المهدي ضد المولى عبد العزيز وعملوا على خلعهم لأن النفوذ الأجنبي بدأ يتسرب إلى البلاد في عهده . ولا أخفق المولى عبد الحفيظ في إبعاد الفرنسيين عن البلاد وإخراجهم من مدينتي « وجره » و « الدار البيضاء » وأكره على إضفاء معاهدة الحماية سنة ١٩١٢ ، قامت ثورة في مراكش كلها وخاصة في العاصمة « فاس » التي حدثت فيها مصادمات عنيفة بين الشعب المراكشى والجيش الفرنسى . وهذه المصادمات - وإن انتهت بالإخفاق - إلا أنها دلت على ما في الشعب المراكشى من حيوية كادت ترغم الفرنسيين على الجلاء عن العاصمة ، لولا الإمدادات القوية التي تلقاها المرشال « ليوطى » قائد الحملة الفرنسية . والمؤرخون الفرنسيون الذين نحدثوا عن هذا المهدي يقدررون هذه الحوادث التي يسمونها « أيام فاس السوداء » .

وإن استسلم الراكشيون في المدن الكبرى لأنهم غلبوا على أمرهم تحت مدافع الفرنسيين وبنادقهم . فقد استمرت الحرب في القبائل الجبلية وخاصة في الجنوب . استمرت حرب المصائب بين الفرنسيين والمراكشين اثنتين وعشرين سنة فلم تستلم حاسيات الجنوب إلا في سنة ١٩٣٤ .

وفي هذه الفترة قام الأمير عبد الكريم الربيعي ليخلص البلاد من يد الأسبانيين والفرنسيين . ولا يزيد أن ننوه بانتصاراته العديدة ، وبمخالفته للجيش الأسبانية ، والفرنسية على يديه ، فإن القراء في الشرق العربى يعرفون هذه الحروب ويقدرونها ، وهم يعرفون أن عبد الكريم بطل مراكش لم يعمل على بناء مراكش الحديثة لحسب ، وإنما ساهم في بث الروح العربى في الشرق أيضا . ويمكن أن نقول إن انتصاراته أفضت مضجع أوروبا كلها ، وجملت مجلس النواب في كل من فرنسا وإسبانيا بطالبات بسحب الجيوش من مراكش ، والتلقيم للأمير عبد الكريم ، وقد كادت تقوم ثورة شمسية في إسبانيا لتتخذ

يذكر في سبيل التعليم ، ولذلك قاموا بحركة تعليمية واسعة النطاق ، ففتحو المدارس الحرة في جميع أرجاء البلاد برغم ما قاسوه من محاربة الإدارة الفرنسية لهم ؛ وبذلك أنشأوا جيلا متملما من الشباب ، وكان مجهودهم في سبيل التعليم أضخم من مجهود الإدارة برغم الأموال التي خصصتها الإدارة في ميزانيتها للتعليم . وقاموا أيضاً بحركة تحريرية اجتماعية لجنود الشباب لمحاربة الجهل والفقر ولتنوير أذهان الشعب ، وحملوا حملة منكرة على بعض الماديات والتقاليد التي يفرضها الاستعمار الفرنسي . ثم قاموا بحركة خطيرة وهي اقتحام مناطق جبال الأطلس التي منع الفرنسيون دخولها إلا بجواز سفر . وبذلك فضحوا (السياسة البربرية) التي اتبعتها فرنسا في هذه المناطق والتي تقوم على فصل جنوب مراکش عن شمالها . وقد ساعدت الحركة الوطنية في بث النشاط الأدبي والفكري في مراکش فقاموا بإصدار مجلات وكتب أدبية تعرضت هي الأخرى للمصادرة والتعطيل . ومما يذكر للحركة الوطنية بالفخر أنها أنشأت صحفاً ونوادى وجمعيات في قلب باريس للدفاع عن مراکش . وكان لمجلى « مغرب » و « أطلس » الفرنسيين اللتين كان يحررهما الشبان المراكشيين في باريس أثر كبير في الرأي الفرنسي فأوجدت نوابا ووزراء فرنسيين يمطفون على الحركة المراكشية .

وقامت الحرب الأخيرة فقام المراكشيون بمساعدة دول الحلفاء وبذلول أبناءهم الذين حاربوا في كل الميادين الهامة ببسالة شهد لهم بها مستر تشيرشل في إحدى خطبه ، وقدمت الحكومة المراكشية أموالا طائلة مشاركة منها في المجهود الحربي . ثم قدمت لفرنسا المحاربة وللجنة التحرير الفرنسية قروضا كبيرة استماتت بها في استرجاع بلادها المحتلة . وقد سخرت جيوش الحلفاء أرض مراکش وموانئها ومطاراتها واستفادت من منتجاتها الضخمة . كل ذلك قلنا من المراكشيين بأن الحرب ستخلق مبادئ جديدة وستتيح للشعوب الصغيرة أن تتمتع بمبادئ ميثاق الأطلسي . ولذلك أهدت كلمة الأمة تحت زعامة « حزب الاستقلال » الذي قدم وثيقة لنول الحلفاء ومن ضمنهم فرنسا ، طالب فيها باستقلال مراکش ، وتوحيد أراضيها ، وإقامة نظام ديمقراطي دستوري ؛ كان ذلك في يناير سنة ١٩٤٤ ولم تكدهم هذه الوثيقة حتى

البلاد من وبيلات الحرب الريفية التي استمرت زهاء خمس سنوات كاملة .

ولم يسكد الأمير عبد الكريم باقي سلاحه حتى تلقفته منه الحركة الوطنية السلمية التي أعلنت ابتداء جهادها في مايو سنة ١٩٣٠ . قامت هذه الحركة لتعمل على تخليص البلاد من نير الاستعمار الفرنسي والإسباني ، فأخذت تعمل جاهدة لتحقيق المطالب القومية للشعب المراكشي . وقد تمثلت هذه الحركة في حزب واحد هو « كتلة العمل الوطني » وكان لهذه الكتلة برنامج وطني يشمل الإصلاحات الضرورية التي يجب على كل من فرنسا وإسبانيا أن تتأجل بها الحالة في مراکش . وما كادت الكتلة تعلن عن وجودها حتى التف حولها الشعب ، وأصبح الفرنسيون يدركون خطرها على مشروعاتهم الإستعمارية ، ومن ثم أخذوا يقاومونها مقاومة أدت إلى اصطدامهم بالشعب مرات عديدة ، وكان من نتيجة ذلك أن سقط في ميدان الجهاد عدد كبير من المجاهدين المراكشيين .

وكانت سبيل الفرنسيين في محاربة الحركة الوطنية تقوم على إفتقال الأبواب في وجه الوطنيين ومنهم من كل عمل من شأنه أن يقوى نفوذهم في الشعب . فقد كانوا ممنوعين من إصدار صحيفة عربية واحدة تعبر عن آرائهم كما منعوهم من فتح نواديهم ، ومن إعلان صوتهم بأي طريقة من طرق الإعلاان . جاهد الوطنيون ليزيحوا عنهم هذا النير ، ولكن الفرنسيين كانوا يمتنون في طرقهم الاستعمارية ، وهذا ما جعلهم يصطدمون بالشعب المراكشي فسلطوا جنود السنغاليين المعروف بقسوته ووحشيته على الشعب الأعزل ... وأخيراً أصدرت السلطة قراراً بحل كتلة العمل الوطني وأغلقت نواديها وصحفها ، وقبضت على زعمائها ، ونق زعيم الكتلة محمد علال الفاسي في منفاه بالكابون في ادريقا الإستوائية منذ سنة ١٩٣٧ إلى الآن

وهكذا أصبحت مراکش مباءة للثورات الجامعة في سبيل الحرية . ولكن لم يكن جهاد الحركة الوطنية ثوريا يعمل على إزاحة النفوذ الأجنبي بالثورات الحسب ، ولكنه كان جهاداً يقوم على أسس متينة لبناء صرح الأمة المراكشية . فرجال الحركة رأوا أن الإدارة الفرنسية لا تقوم بشيء